المحاضرة الثانية

د. حيدر عبد جساس

بناء النظم السياسية في اوروبا: مراحل البناء-تحديات البناء

تعرف النظم السياسية في اوروبا بأنها انظمة ديمقراطية عريقة تطورت عبر تاريخ طويل من الصراعات السياسية التي انطلقت من واقع اجتماعي تزامنت معها تراجع الشيوعية العالمية وصعود العولمة وظهور الموجة الثالثة من الديمقراطية وهي موجة الانتقال الديمقراطي التي بدأت في جنوب اوروبا في سبعينات القرن العشرين.

ولمعرفة تفاصيل بناء وتطور الانظمة السياسية في اوروبا لابد من اتباع المنهج المقارن للوقوف على العوامل والاسباب الجوهرية التي كانت وراء تطور وبناء النظام السياسي لدولة ما، لأن كل دولة لها خصوصيتها التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية والجغرافية، إذ كانت للأفكار السياسية والثقافة المجتمعية دور كبير في بناء الانظمة السياسية واستمراريتها، ولاشك في ان الافكار المتصلة بالشرعية هي أحد عوامل بناء وتطور النظام السياسي في اوروبا، ففكرة المساواة التي اطلقها الاصلاح البروتستانتي هي الاساس في فكرة المحاسبة، لكن ليس هناك تجربة تاريخية تجسد أهمية الافكار السياسية كما جسدتها تجربة الدولة الاسلامية العربية التي اسسها النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله)، فالتطور السياسي في دولته كان تطور في القواعد التي تسيير المؤسسات السياسية وتحكمها، فهو ليس مجرد تغيير شكلي بل تغيير في جوهري لضمان عمل الدولة ودوامها.

ان تطور النظام السياسي في اوروبا له اسباب وابعاد لاسيما في حقبة ما بعد الثورتين الامريكية والفرنسية، ومنها التطور الاقتصادي والاجتماعي ونمو الافكار المتعلقة بالشرعية، ولكن وجود هذه العوامل ليس بالضرورة ان تحدث تطور سياسي بسبب التحديات التي تواجه الانظمة.

فقد مرت الدول الاوروبية بمراحل تطور وبناء تزامنت مع مواجهة تحديات انعكست على واقع نظامها السياسي، فلا يمكن فهم البناء والتطور من دون فهم التراجع بسبب التحديات، وهنا الحفاظ على البناء ناجم عن التوازن بين قوى المجتمع المتنافسة، وهذا التطور مرهون بذلك التوازن، وهنا لابد ان يتصف النظام السياسي بمرونة عالية تؤهله لمواكبة التغيرات واستيعابها، فأي خلل وتراجع داخلي او خارجي وتغير بالظروف الاقتصادية والاجتماعية أو مواجهة افكار جديدة مستوردة هذه التحديات ستكون مقياس لمدى قدرة النظام السياسي على التكيف ومواجهة هذه التحديات والاستمرار في تطور وبناء مؤسساته.